3 ـ القصة الدامية لصراع مراكز القوى

*****

الكهنة فى معبد عبد الناصر يتبادلون الاتهام والدفاع فى اجتماع اللجنة العليا ..بعد أربعين وفاة عبد الناصر! اتهموا كاهنا منهم بالخيانة العظمى ولكن السادات استمع إلى دفاعه .. وبرأه

بدأ التعاون الظاهر والتطاحن الخفى بين مراكز القوى ، منذ الساعات الأولى بعد وفاة جمال عبد الناصر وهذا التعاون والتطاحن سمة ، هو سمة العلاقة بين أعمدة مراكز القوى ، التى اثبتت مؤامرة مايو 1971 ، انهم كانوا يراقبون بعضهم البعض ، بأجهزة التجسس وأشرطة التسجيلات السرية . وكان هيكل يشكل مركز قوه كانوا يخشونه ، كما كان هو يخشاهم تماما . وحاول شعراوى جمعه أن يكون تكتلا مع سامى شرف وهيكل وغيرهما . وحدث فى اليوم التالى لوفاة جمال عبد الناصر ، أن جمعت الثلاثة سيارة واحدة ، وكانوا فى طريقهم إلى قصر القبة حيث كان يقيم أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى بجوار جثمان عبد الناصر . وتوقفوا بالسيارة فى مكان مظلم أمام مبنى كلية البوليس وقال لهم شعراوى :

ــ علينا أن نأخذ عهدا أن نكون يدا واحدة ، احنا خلفاء عبد الناصر ورجالــه ، وأنــا لا أفهم معنى اقامة الثلاثة . والسادات والشافعى وعلى صبرى فى قصــر القبــة . هــل يتصورون أنهم يوزعون التركة كما فعــل بريجنيــف وبودجــورنى وكوســجين بعــد خروشوف ..

*****

والحقيقة كانت ، أن على صبرى وشعراوى جمعه وسامى شرف يشكلون كيانا واحد لمركز قوة .. وقد نشر هيكل هذه الواقعة وكان قد اخفاها لفترة عن الرئيس السادات . وكانت خلاصة كلمات شعراوى جمعه أنهم الورثة الوحيدون والحقيقيون لتركة عبد

الناصر ، وعليهم أن يوحدوا موقفهم أمام من يقيمون فى قصر القبة . ولم يكن المقصود طبعا إلا أنور السادات الذى سوف يتولى الرياسة بنص الدستور . ولم يرتبط هيكل معهم بكلمة وثارت فى ذلك الحين علامات استفهام عديدة ، عندما نشر هيكل رثاء منفصلا لعبد الناصر من زكريا محى الدين فى برواز ظاهر فى الصفحة الأولى .. وعندما تركزت عدسة التلفزيون قرابة الساعة على زكريا محى الدين أمام مقبرة عبد الناصر بعد انتهاء تشييع الجنازة وكان هيكل وزير الإعلام . وفسر هيكل هذا ، بأنه غير متعمد من جانبه . وساورتهم هم الشكوك ، لأن جمال عبد الناصر كان قد أختار زكريا محى الدين ليتولى المسئولية عند تنحيه .. على أساس أن أمريكا التى كانت تقصد شخص عبد الناصر بالهزيمة من الممكن أن تفتح باب الاتصال مع زكريا محى الدين . وكان يوم تشييع الجنازة قاسيا على أنور السادات . وأصيب بأرهاق شديد لم يمكنه من الاستمرار فى السير . وأسعفه الأطباء ، ونقل إلى مبنى مجلس قيادة الثورة بعد حقنه بمنومات قوية المفعول . ولكنه بمجرد أن شعر ببوادر الراحة ، اتصل بصحفية "الأخبار" وطلب أن يوضع رسم ثابت لجمال عبد الناصر فى عنوان الصحيفة ، وأن يكتب تحته .. مؤسس مصر الديثة واستمر نشر هذا الرسم سنة كاملة حتى الذكرى الأولى لعبد الناصر .

وتولى أنور السادات المسئولية . . .

ثم بدأت روايات الصراع .

www.anwarsadat.org

لا أريد هذه التقارير

كانت خطة االرئيس السادات الواضحة ، هى المكاشفة والمواجهة والمصارحة . قال لكل مراكز القوى فى بساطة كاملة :

ــ هدف جمال عبد الناصر هو هدفى .. ولكننى لست نسخة مكررة من جمال . ولن أتخذ أى اجراء مع أى شخص قبل مواجهته وقبل أن يدافع عن نفسه . وعليكم أن تعملوا باطمئنان وثقة . وحدث فى اليوم الأول لتولى الرئيس السادات ، أن تقدم إليه سامى شرف وزير رئاسة الجمهورية ، بأوراق وصفها بأنها تقارير مراقبة التليفونات وسأله السادات : وهل هناك مراقبة دائمة للتليفونات ؟ سامى شرف : نعم .. الرئيس : ولماذا تعرضها على . هل تشكل هذه التقارير قضايا ضد أمن الدولة .. سامى شرف : لا .. الرئيس : أذن لا تعرض على شيئا منها على الإطلاق . ولا يهمنى فى قليل أو كثير أن اعرف خصوصيات أحد ، مادام الأمر لا يشكل جريمة ضد أمن الدولة .

مفاجأة تصفية الحراسات

وبدأت أولى وقائع الصراع ، عندما طلب الرئيس السادات من سامى شرف أن يكلف الدكتور لبيب شقير وضياء الدين داود ، بأن يعدا مشروعا بتصفية الحراسات للعرض على الرئيس . وكان ذلك فى ديسمبر 1970 ومضى اسبوعان . وانشغل الرئيس السادات بمهام عديدة ولما تذكر المشروع الذى طلبه سأل سامى شرف عنه ، فأجاب بأن المشروع قد أعد وجاهز . وأرسله إلى الرئيس . وذهل السادات عندما قرأ المشروع . ورقتان ليس بهما أى شىء عن تصفية الحراسات ، بلا كلام انشائى عن الاتحاد الاشتراكى باعتباره السلطة العليا فى كل شىء . . . وولى النعم ، ثم سطران فى نهاية التقرير عن الحراسات لا يفهم منهما على الإطلاق أى تعبير عن تصفية الحراسات . وسأل الرئيس السادات فى دهشة سامى شرف :

ــ هل هذا المشروع ؟ .. وهل هذا يعبر عما طلبته عن تصفية الحراسات . واجاب سامى شرف : ــ هوه ده يا فندم ، اللى جالى من لبيب شقير وضياء داود . وطوى أنور السادات ، هذا المشروع الهلامى ، وطلب من الدكتور جمال العطيفى اعداد القرار ، وحدد له ثلاث نقاط يتضمنها القرار :

1 ــ تصفية الحراسات . 2ــ لا حراسة إلا بقاض وبإجراءات قضائية .

3 ــ تعيين مدع اشتراكى لمباشرة هذه المهام . ثم طلب الرئيس السادات اعادة صياغة القرار من جديد ، لأن ما كتبه الدكتور العطيفى لم يكن وافيا تماما . واعاد الصياغة . وأمر الرئيس السادات مكتبه ، بأرسال القرار إلى الصحف فى نفس الليلة ، لنشره فى صدر الصفحات الأولى وفوجئت مراكز القوى بنشر القرار . ودخل شعراوى جمعه مجلس الوزراء ، وهو يردد بصوت مرتفع غاضب : " والله ما حد عارف البلد دى ماشية أزاى .. احنا وزراء وبنقرا قوانين جديدة فى الجرائد لا نعرف عنها شيئا " . ولم تستطع مراكز القوى أن تتحرك علنا ضد القرار ، لأنه أحدث دويا شعبيا كبيرا . وتقبلته الجماهير صغيرها وكبيرها بالراحة والفرحة والأمل بل كان هذا القرار أول تعرف من الجماهير ، على أسلوب وسياسة أنور السادات . واكتفت مراكز القوى بالحديث فى مجالس الاتحاد الاشتراكى ، أن هذا القرار أساء إلى مصر أمام الدول الاشتراكية . وكان ضياء داود عائدا من رحلة فى ألمانيا الشرقية وكان يردد أنه واجه حرجا شديدا مع الاصدقاء الاشتراكيين ، أمام هذا القرار غير الاشتراكى ! ولكن الصراع بدأ يشتد ! ولم يبد لهم من الرئيس السادات ، أنه يشعر بأى شىء وكان يطمئنهم دائما ، أنه لن يتخذ أى قرار ضد أحد منهم إلا بعد مواجهته وسماع كلمته . وهذا ما نفذه الرئيس فعلا . وكان لابد ، فى منطق مراكز القوى ، أن تجرى اختبار قوة مع الرئيس السادات ، وأرادوا بهذا الاختبار أن تتحدد المواقف وأن تتحدد السلطات ! ولم يكن اختبارا واحدا .. دبراوا أكثر من اختبار .

صراع الكهنة

وكان أول اختبار يعبر عن الصراع بين جانب من مراكز القوى .. وجانب آخر . جانب على صبرى وحلفائه .. وعلى الجانب الآخر محمد حسنين هيكل . وجاءت الفرصة عندما نشر هيكل مقالا بعنوان "عبد الناصر ليس أسطورة" .. وبدات القصة فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا ، برياسة الرئيس السادات . والصورة التى جرت . . عبر عنها خطاب الرئيس السادات فى 28 سبتمبر الماضى ، عندما قال " . . ونرى أناسا آخرين ، يحاولون أقامة معبد أسمه الناصرية ، يحوط به التقديس والغموض لكى يقيموا من أنفسهم كهنة لهذا المعبد . هم العالمون وحدهم بالأسرار . وهم المحتكرون للتفسير . وهم

قضاة الخطأ والصواب . " وأقول وقد عايشت عبد الناصر وزاملته وشاركته أكثر عمرى وعمره .. أقول لا . لم يحاول عبد الناصر قط أن يقيم بناء جامدا اسمه الناصرية . بل كان يرفض أى قالب كان . " أن هذه الكلمات تنطبق على جانبى الصراع فى هذه القصة التى بدأت بعد أربعين وفاة عبد الناصر بأيام قلائل . تنازع الكهنة على المعبد . بعد أن أنتهت الموضوعات التى عرضت فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا . . وهو الاجتماع الثانى بعد وفاة عبد الناصر . وكان الاجتماع الأول لتسمية رئيس الجمهورية ، وأشار الرئيس السادات فى الجزء الذى نشره من مذكراته وذكرياته ، إلى جانب ضئيل جدا مما جرى فيه .. بعد مناقشة الموضوعات التى عرضت ، قال الرئيس السادات : ــ هل لدى أحدكم شىء للعرض أو المناقشة ؟ .. وتكلم الدكتور لبيب شقير وأخرج صحيفة الأهرام ، وهو يقول : ــ نعم .. عندى موضوع هام أريد أن أعرضه .. الرئيس السادات : تفضل وتكلم الدكتور لبيب شقير . قرأ عنوان المقال " عبد الناصر ليس أسطورة " .. واستعرض المقال فقرة فقرة . وتوقف عند فقرات معينة منه وحلل كلماته ، تحليلا مطولا عميقا ، وحمل الجمل والتعبيرات ما شاء له التحميل ، وقد وضح أنه كان مستعدا تماما ، وأن الموضوع كان متفقا عليه بين جبهة على صبرى .

ثم أنتهى الدكتور شقير من تحليله ، إلى أن محمد حسنين هيكل قد ارتكب جناية الخيانة العظمى ، لأنه بهذا المقال يطعن جمال عبد الناصر ، وليست هناك شرعية إلا عبد الناصر . وطلب معاقبة هيكل وأتخاذ إجراء ضده . لم يكن هذا الطلب مجرد اختبار للقوة فقط . . للسيطرة على أنور السادات ، وفرض قرار عليه . بل كان الهدف ضرب عصفورين بحجر واحد . اختبار القوه ، والتخلص من مركز القوة الآخر أمامهم ، الذى لا يزال مستمرا فى الأهرام ، بعد تركه للوزارة . . وكانوا قد أعدوا فعلا خليفته ، ليرأس تحرير الأهرام ، واتضح بعد ذلك أنهم رشحوا لهذا المنصب محاميا ناشئا من مدينة الإسماعيلية . . كان من رجالهم وقد أتهم بعد ذلك فى قضية المؤامرة . أقول . . أنتهى الدكتور شقير من شرحه الطويل ثم قال أنه يضع الأمر أمام اللجنة العليا ، لأنه أمر بالغ الخطورة يمس شرعية النظام كله . فالشرعية هى عبد الناصر . وكاتب المقال يريد أن يوهم الجماهير أنه الوحيد العليم بتعاليم عبد الناصر .. والوحيد صاحب الحق فى تفسير مبادىء عبد الناصر . وبأختصار .. كهنة المعبد لا يريدون الكاهن الآخر .

وقال الرئيس السادات : ــ نفتح باب المناقشة . . وتكلم الجميع بدرجات هجوم متفاوتة . كلمات جبهة على صبرى مثلت العنف الشديد . كلمات أخرى هاجمت بغير عنف . أما الدكتور محمود فوزى فقد كان معتدلا كعادته ، وناقش الموضوع بغير هجوم . وبعد أن أنتهت المناقشة قال الرئيس السادات :

ــ طيب . اتركوا لى فرصة لدراسة الموضوع ، ونرجئه للجلسة المقبلة ، لكى أخذ فيه قرار .

السادات يستدعى الكاهن الآخر

واتفق على موعد الجلسة الثانية . وفوجىء الجميع بعد أن جلسوا : بالرئيس السادات يضغط على زر الجرس ، فيدخل أحد الموظفين ، فيقول الرئيس : أستدعوا الأستاذ هيكل . وكان هيكل منتظرا لاستدعائه فى صالون مجاور . ودخل بين دهشة أعضاء اللجنة العليا ، وذهولهم . كان آخر شىء يتوقعونه .. بل لم يكن فى مخيلتهم على الإطلاق أن يحضر المتهم بجناية الخيانة العظمى . وطلب أليه الرئيس السادات أن يجلس فى الطرف الآخر من منضدة الاجتماع . وقال الرئيس : سمعنا من الدكتور لبيب شقير فى الجلسة الماضية شرحا لمقال كتبه هيكل انتهى بطلب اتخاذ إجراء ضده وأريد أن تعرفوا سياستى من الآن ، وهى أننى لن أتخذ قرارا ضد أى إنسان إلا بعد أن يواجه ويدافع عن نفسه . ولهذا استدعيته الآن . ثم أتجه الرئيس السادات ناحية الدكتور لبيب شقير وقال له :

ــ اتفضل اشرح يا دكتور لبيب ، ما أثرته فى الجلسة الماضية ، حتى يسمع هيكل الاتهام الموجه إليه ، ويدافع عن نفسه . وأرتج على الدكتور لبيب . فلم يكن مستعدا لهذه المفاجأة كما أن المواجهة هزته . وقال : أريد أن أوجه بعض الأسئلة .. الرئيس السادات : لا . . ليس من حقك أن توجه أسئلة .. اللجنة الآن هى الحكم .ز نسمع كلامك . ثم نسمع دفاعه .. ثم نتخذ القرار . وبدأ الدكتور شقير الكلام . ووضح أنه لم يجد ترتيب

أفكاره وعرضها ، كما فعل فى الجلسة السابقة وهو مستعد تماما . وكان منطلقا فى الجلسة الماضية وبأسهاب وتحليل سبقت دراسته وإعداده . وجاءت كلماته متلعثمة . بل بدأ متهما لنفسه ، قبل أن يتكلم هيكل ! وبعد أن أنتهى ، أعطى الرئيس الكلمة لهيكل .. ودافع هيكل عن نفسه ، دفاعا كاملا . ولعله شعر بأن هذه الفرصة تتاح له لأول مرة أمام مركز القوة الآخر ، فأراد أن يثبت نفسه ، وفى نهاية دفاعه وبعد أن فسر فقرات مقاله ، قال ما معناه أنه كان فعلا اللصيق الأول والأكبر بجمال عبد الناصر فكرة وشخصا .. وأن من حقه أن يتكلم عن عبد الناصر بهذه الصفة ، معبرا عن فكره وعن شخصه . وقال السادات : شكرا . تفضل . وأنصرف هيكل .. وسأل الرئيس الأعضاء . ــ والآن .. بعد أن أستمعتم إلى وجهتى النظر .. ما رأيكم ؟ وتداخلت الكلمات . وأنفجر ضياء داود غاضبا من لبيب شقير لأنه أضاع القضية من قبل أن يبدأ هيكل دفاعه ، ثم وجه ضياء داود الكلام إلى الرئيس السادات قائلا : ــ هل يعنى هذا الإجراء أنه إذا نسب أى اتهام ، لأى صحفى . . أو لأى رئيس تحرير أن يستدعى على هذا المستوى لمناقشته . . وقال الرئيس السادات : ــ عندما يتهم شخص بالخيانة العظمى ، ونحن جميعا نعلم أن هذا الشخص كان قريبا إلى جمال عبد الناصر .. ففى هذه الحالة لابد من أن يأتى إلى هنا لكى يدافع عن نفسه . وسوف لا أتخذ أى قرار فى غياب من يمسه القرار . وسوف لا أتخذ قراراتى من التقارير أو المناقشات . والواقع أنه كانت لضياء داود قصة مع هيكل فى حياة جمال عبد الناصر . لقد غضب الرئيس عبد الناصر من ضياء داود غضبا شديدا ، لأنه زار محمد حسنين هيكل فى مكتبه فى الأهرام . وأنه بقى منتظرا فى مكتب سكرتيرة هيكل نصف ساعة حتى أذن له هيكل بالدخول وقال عبد الناصر : هذا عمل يتنافى مع كرامة ضياء داود كعضو فى اللجنة العليا . وكان عليه أن يرفض الأنتظار . وهو بدرجة نائب رئيس جمهورية (وكان كل أعضاء اللجنة العليا بدرجة نائب رئيس جمهورية) وقال عبد الناصر : هذا تسول على الأبواب . وأمكن لشعراوى جمعه بعد ذلك ، أن يبرر هذا الموقف عند جمال عبد الناصر وأن يزيل أثره .

* * *

سأل السادات : هل لدى أحدكم شيء جديد يقال .. وأجابوا : لا . . وقال السادات : أرجو يا دكتور لبيب . . على هذا المستوى إلا توزع الاتهامات بسرعة .. حتى تصل إلى درجة الخيانة العظمى بدون أساس .

فى منزل الرئيس

وكان هيكل قد كتب فى نفس المقال أنه كان يجلس مع الرئيس السادات ، فى شرفة منزله بالجيزة .. وصف بأسلوبه مشهد النيل والنجوم . كتب هيكل ذلك ، للأيهام بأن وضعه لا يزال كما كان مع عبد الناصر .. أى هو المفكر والشريك فى إصدار قرارات الدولة ، وهذا غير صحيح على الإطلاق . كان هيكل قريب إلى أنور السادات كصحفى وككاتب فقط . ولم يحدث أن عرف بقرار من قرارات الدولة قبل أن يصدره الرئيس السادات . وقد شاء الرئيس السادات بعد وفاة عبد الناصر ، أن يتعامل مع الجميع ، وأن يعطى الفرصة كاملة للجميع ، وطمأن الكل أنه لن يبعد أحدا ، بغير مواجهة وبغير استماع إلى دفاعه ، وهذا نفس ما فعله مع هيكل بعد ذلك بعد أن تجاوز حدوده . وبعد أن استخدم " الأهرام " كمركز قوة مناوىء للنظام .. لأنه لم يصل إلى ما كان يريد مع الرئيس أنور السادات ، وهو أن يكون شريك الحكم . ولكن مراكز القوى فى ذلك الحين ، تصورت أن ما كتبه هيكل من أنه جلس مع الرئيس فى شرفة منزله .. هو دعاية من هيكل للرئيس السادات ! وقال لهم السادات : إذا جلس رئيس الجمهورية فى منزله مع شخص وهو يعلم أنه خائن فتلك مصيبة .. وإذا كان رئيس الجمهورية لا يعلم . . فالمصيبة مضاعفة .

وأنتهت مسرحية أختبار القوة . . المسرحية الأولى ولكن بدأت بعدها المسرحية الثانية . قررت مراكز القوى بزعامة على صبرى ، أن توجه إنذارا إلى الرئيس السادات .

وتوجه سامى شرف إلى استراحة القناطر .. مبعوثا من مراكز القوى ، يحمل الإنذار !